تأثير اللغة العربية في لغات الشعوب الإسلامية وآدابها

صلاح الدين الأزهري
shamsuddinsalahuddin@gmail.com
سارة بنت الحاج أحمد
sara.ahmad@unissa.edu.bn
جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية، بروناي دار السلام.

الملخص

معلوم أن التعصب والغرور القومي كثيرا ما يؤدي إلى عزلة اللغة والأدب القومي عن تيارات فكرية وثقافية مفيدة تساعد على إثراء اللغات والآداب. وباتصال لغة بلغات أخرى أو أدب بآداب أخرى تكتسب اللغات والآداب انعكاسات حضارية ومفاهيم اجتماعية تختلف باختلاف المجتمعات والبيئات. ولا نريد من هذا الكلام سوى أن نقدم مظهرا من مظاهر الصلات بين لغات الشعوب الإسلامية وآدابها، ومظهرا من تأثير اللغة العربية وآدابها في اللغات والآداب الإسلامية، مثل: اللغة الفارسية والأردية والتركية والملايوية وآدابها وغيرها. كل من هذه اللغات والآداب متأثرة في أعماقها وأبعادها بالحضارة الإسلامية، ولا يجوز بحال أن نقطع الصلة بينها، لأنها تصور وتنطق عن أمة الإسلام وحضارتها. إن لغات هذه الآداب متأثرة باللغة العربية، وفيها ما لا يحصى من الألفاظ العربية، فهذا دليل على أنها جميعا فروع تشعبت من أصل واحد، وهو الدين الإسلامي، فمن يطلع عليها يطلع على حضارة الإسلام في شتى مظاهرها. إن التأثير والتأثر الذي ينجم من اختلاط أمتين واتصالهما أمر طبيعي وضروري جدا، وله أهمية في مجال اللغة والأدب، حيث أنه يؤدي إلى التخفيف من حدة التعصب للغة والأدب القومي. وجدير بالذكر أن خير جزء من هذه الآداب هو ذلك الذي تم إنتاجه بعد التلاقي الفكري بين هذه الآداب وعلى بُعْد من الإحساس بالشعوبية والتعصب القومي.

الكلمات المفتاحية: *الصلات، التلاقي الفكري، التأثير العربي في الأوردية والفارسية والتركية والملايوية*

Abstract

The national intolerance and arrogance often leads to the isolation of national language and literature from the useful intellectual and cultural currents help to enrich the language and literature. The Languages and Literatures by the connection among the different languages and literatures gain the cultural reflections and social concepts vary in different societies and environments. We present a manifestation of the links among the languages and literatures of Islamic peoples, and the influence of Arabic in the languages of Islamic Literatures, such as Persian, Urdu, Turkish and Malay and other languages and their literatures. All of these languages and literatures are influenced in their depths and dimensions by the Islamic civilization, and in any way we cannot cut the link amongst them, because they all present the images of Islamic nation and civilization. The languages of these literatures are affected by Arabic language, as there are countless Arabic words in their use, this is an evidence that they all branched out from one origin, which is the religion of Islam, therefore, who will study them study the civilization of Islam in all of its manifestations. The impact resulted from the mixing and contact between two nations is very necessary and a normal thing, which is very important, because it leads the national languages and literatures to alleviate the intolerance. It should be also noted that the best part of these literatures is that one, which was produced after the intellectual convergence between these literatures without the feeling of national intolerance.

Keywords: *Connections, Intellectual convergence, Influence of Arabic in the languages of Islamic peoples: Urdu, Farsi, Turkish and Malay*

التعريف باللغة العربية

فلجميع اللغات في العالم أهمية خاصة، لأن اللغات هي أداة التعبير والتصوير لمشاعر الإنسان وعواطفه الدفينة في باطنه، بل هي باطن الإنسان. فاللغات مرآة لحياة الأمم والشعوب، نرى فيها صورا منعكسة كاملة لثقافتها ومناطقها الجغرافية، ومدنيتها وعمرانها، وعاداتها وتقاليدها: أفراحها وأحزانها، واجتماعها واقتصادها، ومعاشها ومعادها. إن شأن اللغات شأن العمران البشري، ينقسم الناس إلى شعوب وأقوام، وألوان وأوطان، وهم يعيشون في مناطق جغرافية معينة، تنشعب فيها القبائل من الشعوب، والقبائل تتفرع إلى عائلات وأسر، والأسرة تتكون من أفراد وأشخاص، طبائعهم مختلفة مثل ملامح وجوههم، وخصائص هويتهم، وألوانهم.

فقد نشأت العربية ومرت بمختلف مراحل تطوراتها، حتى اكتملت خصائصها، وتهذبت في المجامع العربية وأسواقها، فمارس أهلها فنونها التي ازدهرت وترعرعت، واستظهروا شعرها ونثرها وحكمها البالغة وأمثالها السائرة وطاوعهم البيان في أساليبه الساحرة المتمثلة في الحقيقة والمجاز، والإيجاز والإطناب، والرواية والمقالة، وحين ارتفع شأنها، وبلغت بلاغتها كل مبلغ، وقفت على عتبة لغة القرآن في إعجازه اللغوي، تنحني أمام أسلوبه المعجز إجلالا لها، وإعجابا بها، واعترف أعلامها وأساتذتها من فحول اللسان العربي بسمو أسلوبه البياني، إدراكا لأسراره ولا عجب، فتلك إذعانا لعظمتها، ووقف القرآن من أهالي هذه اللغة موقف التحدي في صور شتى، فعجز بيانهم ولسانهم وتحطمت أقلامهم أمام هذا التحدي.

إن الدين الإسلامي له دور مهم جدا فى حياة الشعوب والأمم، وكتاب الدين الإسلامي الحنيف هو القرآن الكريم الذي أنزله الله سبحانه وتعالى من السماء باللغة العربية على النبي العربي الأمي محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، فعلينا أن نهتم بتعلم وتعليم هذه اللغة المقدسة التي نزل بها القرآن الكريم، ونطق بها المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام.

نحن نتعلم اللغة العربية ونعلمها، لأنها لغة حية خالدة، لن تموت أبدا، لأن هذه اللغة لغة كتاب خالد كتب له البقاء والدوام وهو القرآن الكريم، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه". ومعلوم أن تعلم القرآن وتعليمه لا يمكن إلا بدراسة اللغة العربية.

١. تأثير اللغة العربية في لغات الشعوب الإسلامية المجاورة للعالم العربي

هذه الحقيقة لا تجحد أن لغات شعوب العالم قد تأثرت باللغة العربية في عصور نهضاتها، وخاصة حين امتدت صلة العرب إلى كل الأغوار التي جالوا فيها وتركوا بصماتهم من خلال علاقاتهم التي أصلوها مع شعوب تلك البلدان التي وصلوا إليها من أقصى الشرق حتى أقاصي غرب أوروبا، فلم تكن رحلاتهم فقط لها تأثيرها وصيتها من حيث التجارة، وإنما انطبعت بصماتهم في علاقات كثيرة متنوعة مع أهالي تلك البلدان. فمن صداقات إلى زيارات متبادلة، ثم إلى مصاهرات وإلى آخر ألوان هذه العلاقات، ونتيجة لمثل هذه العلاقات تم تبادل المعارف والآداب بين تلك الشعوب وبين الأدب العربي السفير المتجول فيما بينها.

أ. تأثير اللغة العربية في اللغة الفارسية

إن الفارسية ثانية لغات العالم الإسلامي بعد العربية وأشدها اتصالا بها. والعلاقة بينهما علاقة طويلة قديمة. ولما جاء الإسلام كان للفرس نفوذها في المجتمع الإسلامي الجديد.

وإن الدولة الإسلامية الناشئة لم تستطع أن تستغني عن خبرة الفرس الذين أسلموا، فكانوا يؤدون خدماتهم للدولة الجديدة، فكانوا يقومون بجمع الضرائب وإمساك الدفاتر الخاصة بها، وتحديد الضريبة على كل ممول، كما كانوا على العموم ينفذون كل ما يطلب إليهم ويمثلون الدولة في أقاليمها. وظل العرب يعتمدون إلى فترة طويلة من الزمن على ما وضعه لهم هؤلاء من النظم الخاصة بالشئون الإدارية والمالية. ونتج عن هذا أن دخل اللغة العربية كثير من الألفاظ والاصطلاحات الفارسية الخاصة بهذه الشئون.

وعلى العموم فقد انتشرت حضارة الفرس في المجتمع الإسلامي في مختلف الميادين الاجتماعية والسياسية والثقافية. وأصبحت اللغة الفارسية شائعة ذائعة في أمصار العالم الإسلامي.[١]

فمن الواضح أنَّ تعلّق أي شعب من الشعوب بلغة آبائه وأجداده التي اعتادها ونشأ في كنفها يكون عادةً، أرسخ من أن يزعزعه حدثان الدهر، لا سيما حين تكون هذه اللغة متجذرة العروق في تراث ثقافي يعود إلى أقدم العصور، كما كان حال اللغة الفارسية التي دُهش الإسكندر المقدوني (ت٣٢٣ ق.م) في حملته على أرض فارس بما وجده من مؤلفات فيها، فنسخ وترجم وحمل معه كثيراً منها، كما أحرق ودمر كثيراً أيضاً[٢]. فتحوّلُ الفارسية من الفهلوية (القديمة) إلى الحديثة كاف في حد ذاته لتبيان مدى عمق التأثير العربي في الثقافة الفارسية؛ ذلك أن معظم الفروق بين الفهلوية والفارسية الحديثة تتجلى في هذه الأمور:

١. اعتماد الفارسية الحديثة على الثقافة الإسلامية العربية.
٢. اشتمالها على ألفاظ عربية كثيرة، وتأثرها بالمفردات والجمل العربية في صياغة بعض مفرداتها وجملها
٣. اتخاذ الأوزان والقوافي العربية والسجع والمحسّنات الأخرى.
٤. كتابتها بالخط العربي بدل الخط الفهلوي".[٣]

وهي فروق تشير إلى أن هذا التحول لم يكن مجرد نمو طبيعي يمكن أن تتعرض له أية لغة من لغات البشر في انتقالها من مرحلة إلى مرحلة أخرى، إنما كان تحولاً غير معتاد، حتى ليمكن وصفه بـ"الثوري". ومن الواضح أنَّ تحولاً كهذا لا يمكن أن يحدث في مدة وجيزة، فقد استغرق حدوثه ردحاً من الزمن، حتى "عُرفت الفارسية الدرية من المائة الثانية للهجرة. والمشهور أن الفارسية الدرية أصبحت اللغة الرسمية والأدبية لإيران منذ أواسط القرن الثالث الهجري[٤]، بما هي اللغة الثانية للعالم الإسلامي، وأخذ أتباع هذا الدين، في كل العالم القديم، يدوّنون أدلتهم ووثائقهم الدينية بها، بعد العربية".[٥]

والحق أن التحول من الفارسية الفهلوية إلى الفارسية الحديثة أو الدرية لم يكن مباشراً، بل كان بتوسط اللغة العربية التي تمكنت، على مر الأيام، من دحر الفارسية الفهلوية. وكان وراء ذلك مجموعة من العوامل، منها: أن الخط واللغة الفهلويين كانا أصعب بمراتب من الخط واللغة العربيين، وكان ميدان الألفاظ والمصطلحات أضيق فيهما.

وأصبحت اللغة والخط العربي بعد مائة سنة من الفتح الإسلامي قويين، بسبب ترجمة الكتب العلمية السريانية واليونانية والهندية والإيرانية، وأيضاً بسبب كونهما لغة الحكم وخطه، فكانا مورد احتياج أكبر من جهة أخرى.[٦] ومن هذه العوامل أيضاً أن "الدين الإسلامي الذي اعتنقه الفرس شجّعهم على تعلّم اللغة العربية، وارتباط اللغة الفهلوية في أذهان الإيرانيين بالحياة الدينية الزردشتية القديمة نفرّهم منها، بالإضافة إلى أن الكتابة الفهلوية لم تكن شائعة بين الفرس أنفسهم، إذ كانت محصورة في طبقة خاصة هي طبقة الكتاب (دبيران) مما سهّل على الفرس أن يهجروها إلى الكتابة العربية الجديدة، وكان من سوء حظ الفهلوية أنها لغة المناطق المتاخمة للبلاد العربية، وكانت هذه المناطق دائماً في طريق الغزوات والهجمات العربية المختلفة نحو المشرق".[٧] فإذا أضفنا إلى كل ما تقدم، مقولة ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) الشهيرة: "المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده"[٨]، اتضح لنا أن الصراع بين العربية والفهلوية، على الرغم من كون الأخيرة في عقر دارها،لم يكن متكافئاً، فكان لا مناص من أن تتخذ الفهلوية سبيلها نحو التلاشي وتصبح العربية لغة إيران الأقوى، وهذا ما حدث.

بيد أن الأمور أخذت تتغير في القرن الثالث الهجري بعد قيام الدول الفارسية المستقلة عن الخلافة العباسية، إذ حاولت هذه الدول أن تقطع صلة الفرس بلغة الخلافة أو تضعفها في أقل تقدير، فما كان منها إلا أن صبّت عظيم عنايتها على لهجة أهل المشرق المعروفة بـ"الدرّيّة"، وهي اللهجة التي كانت تستخدم في بلاط الحكام بـ(بخارى) والمناطق المحيطة بها، ومن هنا جاءتها هذه التسمية من "دركاه" أي البلاط. وهكذا، أخذت هذه اللهجة تنمو وتنتشر حتى غدت اللغة الرسمية والأدبية لإيران، لكنها في نموها وانتشارها كانت تزداد تشبعاً بخصائص اللغة العربية التي لم تترك الساحة مطلقاً، وإن نقص بريقها عن سابق عهده.[٩]

ب. تأثير اللغة العربية في اللغة الأوردية

فاللغة الأوردية من تلك اللغات التي اصطلح علماء اللغة على تسميتها باللغات الهندية الأوربية، ومرجع السبب في هذه التسمية ما قيل من أن سكان شبه القارة الهندية في الماضي السحيق كانت لهم لغة واحدة وكانوا يؤلفون شعبا واحدا. ولكن على امتداد التاريخ ارتحل منهم جماعات متجهة إلى الشمال وتعاقبت هجرتهم على مر القرون، وكانت كل طائفة تتكلم بهذه اللغة الهندية، ولكن من هذه الجماعات من استقر بهم المقام في إيران وأرمينيا، ومنهم من سكن روسيا، ومنهم من اتجه غربا فسكن معظم بلاد أوربا، وترتب على ذلك أن هذه اللغة الواحدة التي كانت لهم والتي قدموا بها من قارتهم الهندية تطورت تطورا ملحوظا وأصبحت أشبه شيء بلهجات لتلك اللغة ومرت الدهور فأصبحت هذه الجماعات شعوبا لها كيانها المستقل وأرضها الخاصة بها، وترتب على ذلك أن أصبحت هذه اللهجات لغات قومية لشعوب أو أمم لها كيانها الخاص فأصبحت الفارسية للفرس والأرمنية للأرمن والروسية للروس والإنجليزية للإنجليز وهلم جرا...

ولكن الملحوظ هو أن كل هذه اللغات تعتبر فروعا لأصل واحد كان في الهند فكأنها برمتها أخوات ينتسبن إلى أسرة واحدة، ومن الدليل الأدل على هذا أن بين كل هذه اللغات كثيرا من وجوه للشبه في نحوها وكثير الكثير من مفرداتها. وهذا هو السبب في إطلاق اسم اللغات الهندية الأوربية على تلك اللغات واللغة الأوردية في عدادها.

وهنا ينفسح المجال أمامنا للتعريف باللغة الأوردية، فنقول على لسان الأستاذ الدكتور حسين مجيب المصري: "إن هذه اللغة هي لغة مسلمي الهند على الأخص واللغة التي لها الذيوع والشيوع في شبه القارة الهندية بتمامها بل نتجاوز هذا لنشير إلى أنها منتشرة كذلك في أفغانستان وإيران وبنغلاديش وإمارات الخليج وسرى لانكا وماليزيا وبورما. وهذا أدل دليل على اتساع الرقعة من الأرض التي تعرف فيها هذه اللغة وتدور على الألسنة والأقلام".

وإذا شئنا التحديد بالأرقام قلنا إن من ينطقون بها في شبه القارة الهندية وحدها يربو عددهم على ستمائة مليون نسمة، وما من ريب في أن هذا برهان قاطع على سعة انتشارها إلى حد بعيد.

كما أن الأوردية وهذا شأنها تتجاوز المحلية وتكاد تبلغ ما يشبه العالمية، والدليل الأدل على هذا أن غيرها من اللغات في شبه القارة الهندية كالبنغالية والسندية والبنجابية تعد لغات إقليمية محلية. وهذا ما يميزها تمييزا مرموقا من سواها.

واللغة الأوردية سميت بالأوردية نسبة إلى الكلمة التركية (أوردو) بمعنى الجيش. ولهذه التسمية سبب معلوم. فلما انساحت جيوش الفرس في إقليم السند على عهد السلطان محمود الغزنوي في القرن الرابع الهجري عاش جند الفرس مع أهل هذا الإقليم وتم الاختلاط بينهم تماما، وترتب على ذلك أن لغة جند الفرس وهي الفارسية أثرت في لغة أهل البلاد الهندية وليس عجيبا فلغة الفاتح الغالب تؤثر في أعماق وأبعاد لغة المغلوب، وأفضى الأمر إلى أن انبثقت في الوجود لغة جديدة قوامها لغتان: لغة أهل الهند ولغة الفرس، ولكن نسبت هذه اللغة الجديدة المتأثرة باللغة الفارسية إلى معسكر أو جيش الفرس، لأنهم كانوا السبب في وجودها فعرفت باللغة الأوردية أى لغة معسكر أو جيش الفرس.

وهذه اللغة الأوردية تكتب بحروف عربية، وهي تتضمن ما لا يحصى كثرة من الألفاظ الفارسية والعربية. أما الألفاظ الفارسية فدخلتها لأنها مزيج من لغة الفرس ولغة الهند. فالفارسية أحد مقومين أو عنصرين من عناصرها. أما العربية فأنسربت إليها عن الفارسية، والفارسية تتضمن كثيرا من الألفاظ العربية. كما أن هذه اللغة تتسع لألفاظ إنجليزية، وذلك من أثر وجود البريطانيين في شبه القارة الهندية.

ومما يلحظ أن من مفردات هذه اللغة ألفاظ عربية تغير مدلولها مثال ذلك كلمة (بخار) فهي فيها بمعنى (حمى) وكلمة (عدالت) بمعنى (محكمة) وكلمة (غريب) بمعنى (فقير) وكلمة (أمير) بمعنى (غني). وهذه ظاهرة مألوفة في جميع اللغات لأن الكلمة الدخيلة كثيرا ما ينصرف معناها عن أصلها في اللغة التي انتقلت منها إلى لغة أخرى، وهذا معلوم في اللغات الشرقية والغربية على حد سواء. كما أن بعض الألفاظ العربية المذكرة تؤنث في الأوردية مثل: كتاب، صبح، كرسي. والأوردية لغة العلم والأدب وما يدور من حديث بين المتحدثين، وأدبها أدب إسلامي حق بالمعنى الأصح الأدق، ويعد أدبها امتدادا للأدب الفارسي، وفيها عدة ترجمات للقرآن الكريم، وتفاسير لها مرموق من قيمتها. كما أن جمهرة كتب الحديث الشريف مترجمة إليها. ونضرب المثل بالموطأ ومشكاة المصابيح وبلوغ المرام والصحاح الستة، كما نقل إليها كثير من كتب الفقه والسير والتاريخ.

ومما يذكر أن الأوردية كانت تسمى أحيانا في الشعر (ريخته) وهو مصطلح موسيقي للحن الذي يلتقي فيه النغم الهندي بالنغم الفارسي، فهذا الاسم يرشد إلى امتزاج لغة الهند بلغة الفرس فيها، على أنهما المقومان اللذان أقاما لها كيانها.

ومن حيث كان هذا الاسم غير شائع، كان جديرا بألا يرد ضمن ما شاع من أسماء تلك اللغة، وأن تحتم أن نقول إن الأوردية هو اسم لها اليوم، وأن ما عداه من أسماء أصبح غير متداول، بل ربما أصبح نسيا منسيا.

وتجدر الإشارة إلى أن كلمة (ريخته) السابق ذكرناها والتي أوضحنا معناها لها أيحاء بشاعرية، مما يجعلها أشكل بأن تذكر في الشعر خصوصا.[١٠]

وفي القرن السادس الميلادي كان يقطن عديد من تجار العرب والفرس في مناطق على الساحل الغربي للهند وأصهروا إلى أهل الهند، وراجت تجارتهم واتسعت ثروتهم وقوى نفوذهم واستمسكوا بدينهم. كما أسلم ملك (مالابار) مع أسرته وكان ملوك الهند يحضون رعيتهم على اعتناق الدين الحنيف.

ويؤيد هذا ما قال ابن بطوطه في رحلته من أنه ارتحل من (كهمبات) إلى ساحل (مالابار) فشاهد المسلمين في كل الأرجاء وحالتهم أحسن حال.

ويستدل من هذا بما لا ريب فيه على أن أهل جنوب الهند تلقوا كثيرا من الألفاظ العربية عن العرب بفضل الدين القويم، وعليه فكان سكان (الدكن) بمعنى جنوب، في الأوردية قد تأثروا بلغة العرب قبل فتح المسلمين لشمال الهند بدهر طويل. وعليه فكان العربية تشكل عنصرا من عناصر اللغة الأوردية قد دخلت لغات الهند في الجنوب أضافة إلى الفارسية وهي العنصر الثاني من عناصر الأوردية وبذلك نشأت اللغة التي سميت الأوردية في جنوب الهند قبل أن تظهر في شمالها خلافا للرأى القائل أن هذه اللغة نشأت في الشمال.

ولكن ما لا ريب فيه أن هذه اللغة تألفت من تلك العناصر الثلاثة وهذا ما ينبغي أن نكون على علم به. كما يجعل بنا أن نضيف إلى هذا أن عنصرين إسلاميين كان لهما الرجحان في تشكيل اللغة الأوردية. وينبغي أن نذكر أن هذه اللغة من لغات الشعوب الإسلامية التي تضمنت جانبا من التراث الإسلامي له مرموق من قيمته. وتصورنا لهذا هو المطلوب المرغوب. ومن هذا المنطلق ينبغي أن نشير إلى أن ثمة من يقول أن الفارسية لها التأثير الأعمق الأوسع في الأوردية، وهذا ما لا يحتاج إلى بيان وتفصيل. فهذه الفارسية هي الفارسية التي ظهرت في فارس بعد الفتح الإسلامي وهي كذلك متأثرة إلى أبعد مدى بالعربية، وبذلك تكون الأوردية متأثرة بلغة إسلامية تشكل العربية مقوما له الأهمية فيها.

ومما أدى إلى تأثير الفارسية في الأوردية كذلك أن الفارسية كانت اللغة الرسمية في الهند إلى عهد الاستعمار البريطاني، وكانت الفارسية لغة الأدب ولغة ملوك وحكام المسلمين في الهند، وهذا ما أفضى إلى زيادة تأثر الأوردية بها. كما دخلها كثير من الألفاظ الإنجليزية والبرتغالية وكان هذا أمرا مألوفا متوقعا لأن هاتين اللغتين جاورتا الأوردية في بيئتها.[١١]

ج. تأثير اللغة العربية في اللغة التركية

دراسة الترك تاريخا وأدبا ليست دراسة هينة. ومرد ذلك إلى أسباب كثيرة، منها كثرة القبائل والفروع التي يتفرع إليها هذا الشعب، ومنها اتساع رقعة الأرض التي شغلها من اقصى الشرق إلى أقصى الغرب، ومنها تعدد اللهجات التي يتكلمون بها تبعا لتعدد المناطق والأقاليم التي يعيشون فيها. ثم هناك إلى جانب هذا كله اختلاط هذا الشعب بكثير من الشعوب الأخرى التي خالطها أو عاش معها كالصين والفرس والعرب والهنود وغيرهم.

والمتصدي لتاريخ الترك أو أدبهم يجد صعوبة كبرى في دراسته، لأنه محتاج أولا إلى إجادة اللغة التركية، حتى هذه اللغة نفسها تتفرع إلى لهجات مختلفة تعقد الأمر أمام الباحث، ثم هو في حاجة إلى إجادة عدد من اللغات التي ارتبطت بالتركية ارتباطا وثيقا وأثرت فيها وأهمها اللغة العربية. ويشير (بار تولد) إلى هذه الصعوبات، فيقول: إنه ليس هناك بين الدول التركية ما يستمد تاريخه من مصادر تركية سوى الدولة العثمانية، وحتى هذه المصادر التي كتبت بالتركية تجبر الباحث على إجادة العربية والفارسية، لأن اللغة التركية خليط من هذه اللغات.[١٢]

ومع اختلاف اللغة التركية والفارسية والعربية في الأصول اللغوية التي تنتمي إليها كانت الصلات بينها أوثق وأعمق مما يتصور في أي مجموعة أخرى من اللغات. وقد أفادت اللغة التركية كثيرا من هذا الامتزاج والتبادل، فاستعارت كثيرا من الألفاظ العربية والفارسية. واستطاعت التركية أن تزيد ثروتها زيادة كبيرة باستخدام المصادر العربية مع الأفعال المساعدة التركية. فالألفاظ الفارسية والعربية أصبحت جزءا لا يتجزأ من المعجم اللغوي التركي إلى أن ظهرت حوالي منتصف القرن التاسع عشر حركة التنظيمات التي كانت تستهدف التجديد في الأدب والسياسة والاقتصاد.. إلخ.

وإلى جانب الألفاظ ظل الخط العربي مستخدما عند الأتراك حتى نوفمبر عام ١٩٢٨م حين استخدموا الحروف اللاتينية. وقد برعوا في فن الخط العربي براعة عظيمة وأدخلوا فيه من التجديد والابتكار ما جعل لهم الصدارة في هذا الميدان زمناً طويلا.[١٣]

وأما بالنسبة للتأثير العربي في اللغة التركية، فالحق هو ما قال الشاعر الهندي (خواجة ألطاف حسين حالي): من أن العرب علموا الناس الشعر وفن القول. فمن المتعارف المعلوم أن الفرس بعد الفتح الإسلامي ضاع شعرهم القديم مع ضياع معالم حضارتهم وشرعوا ينظمون الشعر الفارسي بعد الإسلام أخذا مما عرفوا عن شعر وعن لغة العرب. فقالوا شعرهم الفارسي وعروضه وفنونه مقتبسة عن العرب، ومنهم من نظموا شعرا عربيا ويعرفون بأصحاب اللسانين. وجملة القول إن الشعر الفارسي الإسلامي متأثر في أبعاده وأعماقه بشعر العرب. أما الترك فأخذوا عن الفرس حضارتهم الإسلامية، ونعنى بهم العثمانيين وشعرهم العثماني صورة للشعر الفارسي الذي أخذ عن الشعر العربي من قبل. فكأن الشعر التركي العثماني متأثر بالواسطة بالشعر العربي.

وهنا يذكر لنا حسين مجيب المصري رواية، فيقول:

وها هو ذا الشاعر التركي (نابي) المتوفى في أوائل القرن الثامن عشر ينصح ولده ويبصره بشعر العرب بقوله: "ما أكثر أشعار العرب، ومصدرها الشام وحلب، لا تقل إنها من الأوزان مجردة، فإن لها أوزانا على حدة. وهي عامرة بالمعاني المرقصة، وأشبهها بالمشعل اللماع، إذا ألقي بالشرر في الأسماع. وما أكثر ذلك المطرب المعجب، الذي يجلو مرآة القلب، وكم من نعوت شريفة نبوية، ومدح للمعجزة المصطفوية. وكل منها جوهر ثمين ودر موضون. أمعن في تلك الأشعار نظرك، وأبذل في تفهمها جهدك. لا يصلح الأمر إلا بالعربية، ولن تكفي وحدها الفارسية. وفي العربية أنواع العلوم، والعلم بدونها غير مفهوم". فهذا الشاعر التركي يذكرنا بأن العلم بالعربية والفارسية والاطلاع على أدبهما كان ضرورة ثقافية لكل عالم وبليغ تركي لا غنية له عنها.

وكذلك أن شعراء الهند الإسلامية أخذوا عن الفرس وساروا في خطاهم وتأسوا بهم في شعرهم دهرا طويلا. كما أن ثقافة العالم والبليغ الهندي كانت تفرض عليه فرضا أن يكون على علم واطلاع بالعربية وشعرها، ويترتب على ذلك ضرورة أن يكون للشعر العربي صدى في الشعر الأوردي بواسطة وبلا واسطة.[١٤]

٢– تأثير اللغة العربية في أرخبيل الملايو

لأمة الملايو لهجات مختلفة ترجع جميعها إلى لغة واحدة، شائعة في شبه جزيرة (ملقا) و(سومطره) والجزائر المحيطة بها. وهي اللغة المتداولة في المعاملات التجارية خصوصا في دوائر الملوك. وكانت هذه اللغة الملايوية شائعة بالأقاليم الملايوية وبالهند الصينية ابتداء من القرن الثالث عشر للميلاد وقد أثرت مخالطة الأجانب في لغة الملايو. نجد بها كلمات كثيرة من أصل هندي (سنسكريتي)، وتأثير السنسكريتية فيها أظهر. كما نجد فيها كلمات من أصل برتغالي أثراً من فتح البرتغاليين لبلادهم. وكذلك أخذت كلمات كثيرة عن اللغة العربية باعتبارها لغة الإسلام.

ولكن الملايويين قد أخذوا أبجديتهم عن العرب وزادوا عليها للأصوات الخاصة بلغتهم ولا تزال الأحرف العربية مستعملة لكتابة هذه اللغة، إلا في (باليمبانغ) شرق (سومطره) حيث تكتب بالأحرف الهندية القديمة. وفي بعض المستعمرات الهولندية يكتبون لغة الملايو بأحرف أفرنجية وينشرون بها كتباً وجرائد.

إن ظاهرة "القرض اللغوي" أو "الاستعارة اللغوية" ظاهرة طبيعية لكل لغة حية فهي قائمة على مبدأ التأثر والتأثير. واللغة الحية هي التي تأخذ ما تراه مناسبا لها في الوقت الذي تعطي ما تحتاجه اللغات الأخرى. وما أخذته اللغة العربية من اللغات الأجنبية منذ عصر ما قبل الإسلام وإلى يومنا هذا يعد قليلا جدا إذا ما قيس باللغات التي تأثرت باللغة العربية وأخذت منها.

ولا تتوقف عملية الاقتراض اللغوي في الأوساط الملايوية بل تستمر وبخاصة بعدما ازداد الاهتمام باللغة العربية في الآونة الأخيرة، بسبب الصحوة الإسلامية، وإقبال المسلمين على تعلم اللغة العربية، ووجود الهجرات العربية إلى البلد الذي يضمن لهم فرص طلب العلم والعمل والتجارة.

وقد نشطت فعاليات التأثير العربي في الميادين المختلفة: التعليمية، والسياسية، والاقتصادية، والتجارية، والسياحية. وتشهد الساحة الماليزية تزايد السياحة العربية بعد أحداث ١١ سبتمبر، وذلك بقدوم أفواج كبيرة من السياح العرب طوال العام مما يشجع التجارة العربية ونمو الاقتصاد المحلي، حتى اشتهرت المنطقة بمعالم جديدة من بنوك وشركات ومطاعم ومحلات عربية متنوعة مثل: بنك التمويل الكويتي، منطقة "عين عربية"، مطعم خيمة الصحراء، مطعم حي العرب، مطعم الطربوش، مطعم الروشة، مطعم الأهرامات، مطعم متعال، والمطعم اللبناني.

وكذلك للصحافة والإعلام دور في الاقتراض اللغوي المعاصر. وقد برز الإعلام العربي في ماليزيا من خلال القنوات العربية: (ART)، والجزيرة، وكذلك المحطات الإذاعية الماليزية التي تبث البرامج باللغة العربية مثل: محطةikim.fm التابعة لمعهد الفهم الإسلامي الماليزي. ومن الصحف والمجلات العربية الموجودة في ماليزيا جريدة السياحة والسفر للتنشيط السياحي "أهلا وسهلا."

وفي المجال الاقتصادي والتجارة العالمية تظهر دواعي الاقتراض اللغوي ولا سيما في المصطلحات المتعلقة بالبنوك والمعاملات المالية والاستثمارية، فشاعت مصطلحات صكوك، والبيع بثمن آجل، ومشاركة، ومضاربة، ومرابحة، وتجارة، وتكافل. هذا بجانب أنظمة التعليم العربي الموجودة في البلد من المراحل التعليمية المختلفة في المدارس والجامعات. يبدأ التعليم الإسلامي العربي من الحضانة إلى مرحلة التعليم العالي مع اختلاف عدد الحصص ونوع المواد. فهناك أقسام متخصصة في اللغة العربية وآدابها، وبرامج التعليم الإسلامي باللغة العربية، كما تكون اللغة العربية مادة اختيارية بين اللغات الحديثة في المعاهد العليا والجامعات.

هذه العوامل التعليمية والتجارية والسياحية والسياسية كلها تساهم بطريقة أو أخرى في إثراء البيئة الماليزية بالألفاظ والتعابير العربية، مما يعزز الثروة اللغوية الموجودة وإضافة الجديد الذي تحتاج إليه متطلبات التعبير العصري.

المراجع

[١] ندا. طه. (١٩٨٠م). الأدب المقارن. القاهرة: دار المعارف. ص: ٣٨

[٢] ابن النديم. (بدون تاريخ). الفهرست. بيروت. دار المعرفة. ص: ٣٣٣

[٣] أمين. أحمد ومحمود. زكي نجيب. (بدون تاريخ). قصة الأدب في العالم. القاهرة: جـ١. ص: ٤٣٩

[٤] صفا. ذبيح الله. (بدون تاريخ). تاريخ أدبيات در إيران. (بالفارسية).

[٥] طباطبائي. محمد محيط. (١٣٤٧هـ). تأثير إسلام در أدبيات فارسي. (بالفارسية). إيران: يغما، سال بيست ويكم، شماره نهم. آذرماه. ص: ٤٧٧

[٦] بهار. محمد تقي. (بدون تاريخ). سبك شناسي إيران. إيران: جـ ١، ص: ١٨١

[٧] ندا. طه. (١٩٩١م). الأدب المقارن. بيروت: دار النهضة العربية. ص: ٣٩-٤٠

[٨] ابن خلدون. المقدمة. تحقيق: درويش الجويدي. بيروت: المكتبة العصرية. ص: ١٣٧

[٩] سعيد. إحسان صادق. (٢٠٠٠م). علوم البلاغة عند العرب والفرس (دراسة مقارنة). دمشق: من منشورات المستشارية الثقافية الإيرانية. الطبعة الأولى. ص: ٢٠-٢٤

[١٠] المصري. حسين مجيب. (١٩٨٨م). الأدب الإسلامي في شبه القارة الهندية. القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية. ص: ١٢-١٦

[١١] المرجع السابق. ص: ١٩-٢١

[١٢] تولد. بار. (بدون تاريخ). تاريخ الترك في آسيا الوسطى. ترجمة سليمان. أحمد السعيد. ص: ٢

[١٣] ندا. طه. (١٩٨٠م). الأدب المقارن. القاهرة: دارالمعارف. ص: ٨٤

[١٤] المصري. حسين مجيب. (١٩٨٨م). الأدب الإسلامي في شبه القارة الهندية. القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية. ص: ٣٢٦-٣٢٧